الوحدة الاسلامية والنظام العالمي القائم

الاستاذ فضيل أبو النصر (*)

١ - لماذا الدعوة الى الوحدة الاسلامية؟

❑ الوحدة حلم راود مخيلة المسلمين منذ الأيام الاولى للدعوة الاسلامية، لأن وحدة المسلمين فصل ايمان وعنوان عزة وكرامة. الا أن الوحدة الاسلامية بقيت حلماً نظراً للخلافات التي رافقت الانتشار الاسلامي شرقاً وغرباً، فتشتت الشمل الاسلامي حتى في عزّ النشاط والتوسع الذي رافق دخول شعوب و أمم كثيرة حضيرة الاسلام. الا أن الامانة الفكرية تقتضي منا الاقرار بأن حلم الوحدة لم يفارق مخيلة وتفكير القادة والمفكرين المسلمين حتى في أحلك أيام النزاعات التي عصفت بالاسلام.

ثمة دافع آخر للحديث عن الوحدة الاسلامية ينبع من واقع العالم الاسلامي المعاصر: العالم الاسلامي بمجموعه يمر - حالياً - بمرحلة تململ وتشنج نتيجة انتقاله من مرحلة الركود والتخلف الى مرحلة التحرك الهادف والانطلاق البنّاء. إنّ ولوج العالم الاسلامي مرتبة التطور والتقدم يحتم التفكير بقيام وحدة تضم

(*) كاتب تقريبي من لبنان شارك في المؤتمر الثامن للوحدة الاسلامية بمقاله هذا.

الشعوب الاسلامية كافة دون استثناء، لأن الوحدة تجسد كل ما هو خيّر ونبيل للامة الاسلامية؛ فالوحدة معيار حضاري لتقدم الامم والشعوب، لانها تعزز وتقوي الكرامة والعزة والسؤدد. زد على ذلك أن الوحدة الاسلامية باتت ضرورة اقتصادية وسياسية وثقافية في هذا العصر.

فالوحدات الكبرى أصبحت الكيانات المطلوبة لتطوير الاقتصاد والعلوم والذود عن الاستقلال والسيادة. اضافة الى أن حركة التاريخ العالمي تدعم قيام كيانات كبرى مثل الوحدة الاوروبية، وتوسيع السوق الاميركي عن طريق ضم اقتصاد كندا والمكسيك من خلال اتفاقية (نافتا) بين تلك البلدان الثلاثة. اذا كان هذا هو حال تلك المجموعات المتطورة اقتصادياً وسياسيا، فكيف يكون الحال بالنسبة للعالم الاسلامي المتخلف؟ عندها تصبح الوحدة الاسلامية أكثر من ضرورة لما يمكن للوحدة أن توفره من موارد طبيعية وانسانية وثقافية تستخدم في عملية النمو والتطور.

والاسلام ذاته طالب المسلمين بالتكتل والتعاون، وقد أكد القرآن الكريم في أكثر من مناسبة: أن المسلمين أمة واحدة، وكذلك الحديث الشريف طالب المسلمين بالتمسك بوحدة الامة لما للوحدة من مردود عظيم على مستقبل الاسلام والمسلمين. زد على ذلك أننا لانغالي إذا قلنا بأن وحدة المسلمين تتعدى مصلحة العالم الاسلامي لتصب فى رافد المصلحة الانسانية العليا.

لذا، فإن طرح موضوع الوحدة الاسلامية اليوم أمر منطقي وينسجم مع تعاليم الاسلام، وحركة التاريخ االعالمي، والمصلحة الاسلامية والانسانية العليا. أما الوحدة الاسلامية التي ننادي بضرورة قيامها فانها توحد شعوب ودول العالم الاسلامي اقتصادياً وسياسياً وثقافياً في كيان واحد متخطية كل الفروقات والنزاعات القومية والمذهبية والمصلحية الضيقة والكثيرة.

٢ - الوحدة الاسلامية بين الحلم والواقع

الوحدة الاسلامية حلم جميل، لكن كل الاعمال الجليلة التي تحققت في العالم في الماضي نتجت عن أحلام راودت مخيلة قلّة من الناس. هذه القلة تعي الامور بالحدس وليس بالمنطق. فالذي تراه الاكثرية مستحيلاً تجده هذه القلة أمراً ممكن التحقيق، والذي تراه الاكثرية ممكناً تجده هذه القلة محتملاً لايفصله عن التحقيق سوى خطوات قليلة. ونحن من القلة القائلة بأن العالم الاسلامي دخل حيز التفكير في قيام وحدة إسلامية شاملة رغم كل الصعوبات والعقبات المنظورة التي تعمل ضد هكذا توجه.

إنّ نجاح مثل هذه العملية يتطلب: قيادة وحكمة ودراية وصفاء نية، وتوفر ظروف داخلية وخارجية مؤاتية على امتداد سنوات طويلة قد تبلغ عدة عقود من الزمن.

وقد رأينا أن نضع (سيناريو) لما يمكن أن تكون عليه عملية التكتل الاسلامي للوصول الى الوحدة الاسلامية المنشودة. وقبل وضع تفاصيل هذا التصور، لابدّ من التأكيد بأن قيام الوحدة الاسلامية مفهوم يتخطى القومية والعشائرية والمذهبية الضيقة، ليرسي قواعد كيان لاقومي، إنساني الشكل والمضمون. قد يطلق عليها بعض اسم «قومية إسلامية» بذات التوجه الذي نتحدث فيه عن (قومية أوروبية) من خلال قيام الوحدة الاوروبية.

وكمدخل للحديث عن كيفية تحقيق الوحدة الاسلامية، لابد من مراجعة سريعة لواقع العالم الاسلامي المعاصر؛ فالحلم الكبير لايستطيع أن يتخطى الواقع. واليكم صورة مقتضبة عن هذا الواقع الذي سيقام على أساسه صرح الوحدة - الحلم -؛ في هذا الصدد، نلفت القارىء الى أن واقع العالم الاسلامي ليس مرّاً كله بل هنالك كثير من الايجابيات التي تبعث على الأمل.

الحقيقة الأولى:

العالم الاسلامي منقسم على ذاته، ومجزّأ الى دول عدة تضم عديداً من الاجناس والقوميات واللغات والثقافات و ... زد على ذلك أن مصالح دوله وشعوبه متنافرة ومتضاربة لا قاسم مشتركاً بينها.

الحقيقة الثانية:

العالم الاسلامي متخلف اقتصادياً واجتماعياً وعلمياً وثقافياً وفق كل المعايير وبصورة عامة.

الحقيقة الثالثة:

يعاني العالم الاسلامي بمجمله من فقر مدقع، يطال شريحة كبيرة من السكان، وبعض مجتمعات هذا العالم المترامي الاطراف تعاني من سوء التغذية والجوع والمرض ونقص في الخدمات الأساسية من صحة ومسكن وتربيةو...

الحقيقة الرابعة:

يتنازع العالم الاسلامي خلافات سياسية ومذهبية عميقة تجعل من الاتصال بين قادة وشعوب دوله أمراً شبه مستحيل. أضف الى ذلك، أن الاتصال الضيق القائم بين أجزاء العالم الاسلامي يمر - بمعظمه - بعواصم القرار خارج نطاقه.

لذا، فالاتصال المباشر والفاعل شبه معدوم لأنه يراعي توجهات ومصالح الآخرين خارج العالم الاسلامي، أكثر من مراعاته توجهات ومصالح العالم الاسلامي. وهذاالامر ينطبق على الشؤون الاقتصادية والسياسية والثقافية كافة.

الحقيقة الخامسة:

المجتمعات الاسلامية في أغلبيتها الساحقة مجتمعات استهلاكية بكل ما في هذا المصطلح من معنى. فهي مجتمعات مستهلكة للبضائع وليست منتجة لها،

وهي مستهلكة لثمار العقل وليست مبدعة لها. حتى في حقل الدراسات والابحاث الاسلامية مايزال العالم الاسلامي يعتمد (الاستيراد) وليس الانتاج الأصيل الخلاّق. ونتيجة لذلك، باتت المجتمعات الاسلامية - بصورة عامة - مجتمعات اتكالية على غيرها في أمور شتى.

الحقيقة السادسة:

اضافة الى الحقائق الخمس أعلاه، يفتقر قادة ومفكرو العالم الاسلامي الى الرؤية الحضارية الشاملة لحاضر ومستقبل العالم الاسلامي. إن غياب هذه الرؤية عن مخيلة الفعاليات السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية تشل كل عمل وتوجه يعالج موضوع العالم الاسلامي كوحدة انسانية - حضارية. إن وضع تصوّر لما يمكن أن تكون عليه المجتمعات الاسلامية منفردة أو مجتمعة، مع الأخذ بعين الاعتبار الخلفية الشاملة للمجتمع الانساني ككل، بات أمراً ملحاً في عصر يعتمد التخطيط والدراسات المستقبلية في مختلف الشؤون وليست الاقتصادية فقط. لذا فان توفر الرؤية التي ترصد الحاضر وترشد الى المستقبل أصبح ضرورة من ضرورات فهم الحاضر والاستدلال لما يخفيه المستقبل والرؤية الشاملة باتت تشكل العمود الفقري لكل عمل تطويري وتنموي يدفع بالمجتمعات نحو التقدم والرفاهية والسعادة.

وبعد هذه الصورة القاتمة للعالم الاسلامي، اليكم بعض الايجابيات التي يحفل بها هذا العالم:

الحقيقة الاولى:

يحتل العالم الاسلامي الممتد من أندونيسيا شرقاً حتى المغرب الاقصى غرباً، موقعاً جغرافياً استراتيجياً مميزاً على سطح الكرة الأرضية.

الحقيقة الثانية:

تضم الارض الاسلامية ثروات طبيعية كثيرة جداً تجعل العالم الاسلامي من أغنى مناطق الأرض قاطبة.

الحقيقة الثالثة:

يبلغ تعداد المسلمين أكثر من مليار نسمة، يشكلون ربع سكان الكرة الارضية. هذا العدد من البشر يُعد طاقة بشرية عظيمة اذا ما تطورت ونمت و تدرّبت. ومن الطبيعي أن الامم العظمى تقاس بحجم ونوعية سكانها ويبقى على الفرد المسلم أن يعمل على تطوير قدراته الشخصية ومواهبه خدمة لامته وتحقيقاً لذاته دون انتظار لما يمكن أن تفعله الحكومة فقط.

الحقيقة الرابعة:

يعيش العالم الاسلامي برمته اليوم مرحلة يقظة ونهضة تحمل في طياتها الخير العميم للمسلمين والعالم. إن ما يحدث اليوم في المجتمعات الاسلامية ليس معركة بقاء فحسب بل انتفاضة من أجل اثبات الهوية الاسلامية المميزة في عالم تتقاذفه مختلف التيارات الحضارية، وبخاصة تيار العصرنة القادم من مختلف الجهات.

الحقيقة الخامسة:

يشارك المسلمون في مختلف أصقاعهم بطريقة حياة و أسلوب سلوك و نمط تفكير يميزهم عن سواهم من الناس. باختصار، يشترك المسلمون بحضارة واحدة تبقى عنصر توحيد وجمع مهما اختلفت النزعات القومية والثقافية. هذه الحضارة أيضاً تخضع لعملية النمو والتطوير من جراء الاتصال بالحضارات الاخرى وبخاصة الحضارة الغربية. ومهما حدث، نتوقع أن تحافظ الحضارة

الاسلامية على أصالتها وسمتها المميزة لتبقى أحدى أهم الروافد الحضارية المتواجدة على الساحة الحضارية الانسانية. من ناحية أخرى. إن بروز شخصية إسلامية مميزة تبقى نوعاً من التمني نظراً لتعددية واختلاف الشعوب الاسلامية، لكن بروز مثل هذه الشخصية ليس أمراً مستحيلاً ضمن الحضارة الاسلامية الواحدة.

الحقيقة السادسة:

يواجه العالم الاسلامي التحدي الكبير الذي سيتقرر معه فيما إذا كان للعالم الاسلامي أن يتوحد، أو يبقى على هامش الاحداث تابعاً واتكالياً على غيره. هذا التحدي الكبير يطالب بالتجديد الحضاري من خلال التفاعل مع الحضارات السائدة، وبخاصة الحضارة الغربية الطاغية والمرغوبة لما تحمل في طياتها من منافع. المشكلة التي يواجهها العالم الاسلامي والحضارة الاسلامية هي: كيفية التفاعل والتطور مع الاحتفاظ بالأصالة الاسلامية. فالوحدة الاسلامية تأتي نتيجة للتصدي لهذا التحدي الحضاري الكبير.

٣ - بعض ظواهر العالم المعاصر:

بعدما رسمنا أبرز الحقائق عن واقع العالم الاسلامي، لابد من ذكر بعض ظواهر العالم المعاصر، والتي تخص موضوع بحثنا مباشرة حول الوحدة الاسلامية والنظام العالمي. فالعالم الاسلامي يعيش ضمن وجود مؤثر فهو لايعيش في فراغ بل في محيط أوسع يتسم بكثير من السلبيات والتحديات والنزاعات.

الظاهرة الاولى:

إن الكلمة النهائية على صعيد الشؤون الدولية هي للقوة بأبعادها الثلاثة: قوة

السلام، وقوة الاقتصاد والمال، وقوة المعرفة. اذن، العالم الذي يحيا فيه العالم الاسلامي هو عالم يخضع لمنطق القوة المجرّدة عن كل أخلاق ومثالية. فالاخلاق والمثل لا رصيد لها عند التعاطي باالشؤون الدولية. إن ما يسدد خطى القادة والمفكرين والفعاليات هو المصلحة النفعية النابعة من الأنانية القومية.

الظاهرة الثانية:

تتسع (الانا) القومية وتضيق باتساع وضيق الرؤية المتجذرة بالمصلحة القومية العليا المتعامية عن أي مصلحة أخرى. فالشوفينية، أي القومية المتطرفة، توجه أعمال القوى العظمى الفاعلة على أرض العلاقات الدولية. لاتختلف التوجهات مهما كانت الايديولوجية السائدة في المجتمع القومي بغض النظر عن التسميات، تبقى الحقيقة الثابتة أن (الأنا) الجماعية هي محور وموجه سلوك القادة والمفكرين على الساحة الدولية، اذ يمكن أن تضم (الأنا الجماعية) البشرية بأكملها، عندها تصبح المواجهة بين (أنا) بشرية الكرة الارضية، بمواجهة (أنا) مخلوقات على كوكب آخر.

الظاهرة الثالثة:

تقوم العلاقات الدولية على المصلحة القومية المجرّدة من كل عاطفة خيرة ومحبة وتفان. فالمثاليات لادور فعلياً لها على أرض واقع العلاقات الدولية الا لتبرير وتغطية سلوك غير أخلاقي. فالمثل والعقائد الروحية والاخلاق تلعب دوراً - دائماً - للسلوك الاناني غير المبرر.

الظاهرة الرابعة:

العالم المعاصر عالم تراجع فيه دور الدين والرسالات السماوية والمثل العليا. هذه المبادىء تصلح للاستهلاك الداخلي للامم والشعوب، وهي لاتحظى

بالاهتمام في العلاقات الخارجية لهذه الامم والشعوب الا للمزايدة الكلامية القائمة على النفاق.

الظاهرة الخامسة:

العالم مقسّم الى شمال وجنوب: شمال غني ومتطور ومستقر، وجنوب فقير ومتخلف. الكلمة النهائية في العالم للاقلية الشمالية، والهيمنة عنوان تعاطي الشمال مع الجنوب. لا تحرّك الشمال مشاعرُ الاخوة والتعاون تجاه الجنوب، بل مشاعرُ الغطرسة والتفوق وعدم الاكتراث لمصير الآخرين.

الظاهرة السادسة:

عالم اليوم، وبخاصة الدول العظمى، لايقيم للسيادة أية أهمية، تسانده في مسعاه هذا قوى عسكرية وطاقة اقتصادية مدمرة وتكنولوجيا متطورة ووسائل إعلام متقدمة، تجتاح الحدود السياسية والثقافية بدون رادع، بحيث باتت السيادة الوطنية وهماً وخرافة. فالسيادة في عصر الاقمار الصناعية باتت أثراً بعد عين، فأصبحت من مخلفات الماضي.

الظاهرة السابعة:

االعلوم الطبيعية المادية غير الدينية تحظى بالاهتمام الاكبر من الناس، بحيث أصبح من العسير السعي لنشر االمفاهيم الدينية والفكرية المثالية. فالفكر بمجمله بات خاوياً الا من الترهات ومن كل محتوى انساني علوي. فالناس يعيشون ليومهم دون الاخذ بعين الاعتبار المستقبل والآخرة.

في ظل هذا الفراغ المخيف، على القادة والمفكرين المسلمين أن يسعوا لتحقيق حلم الوحدة الاسلامية، الذي يأخذ بعين الاعتبار مصير الامة الاسلامية كامتداد (لـلامة الانسانية). وفي ظل هذه الاوضاع الداخلية والخارجية على

أصحاب الرأي والقادة والفعاليات الاسلامية أن يؤسسوا مستقبل الامة الاسلامية.

٤ - بعض الحقائق عن النظام العالمي القائم:

النظـام العـالمي القائم - اذا كان لنا أن ندعوه نظاماً - يتمثل بهيمنة وطغيان دولة واحـدة كبـرى في صنع القـرار الدولي، فلامنافس لهايؤثر ويخفف من غلواء قراراتهـا. فالـولايـات المتحدة الاميركية بعد اختفاء الاتحاد السوفياتي عن الساحة الدولية باتت المرجعية الاولى والرئيسة دون منازع في تسيير دفة شؤون الكون. هذا واقع لايستطيع أحـد انكـاره أو تحاشيـه. حتى الدول الغربية الاخرى مثل: انجلترا وفرنسـا وألمانيـا تسيـر في ركب السيـاسة الاميركية دون أقل احتجاج أو معارضة؛ فالمصـــالح الاميـــركية تأتي في الـدرجة الاولى في مقابل المصـالح الاخـرى حتى الاوروبية واليابانية. إن حلفـاء أميـركـا هم أطـراف غيـر متساوين في الاهمية أمام المصالح الاميركية العليا والحيوية.

اذا كان هذا هو حال الحلفاء، فكيف تتعامل الولايات المتحدة مع الاطراف البعيدة أو المعادية لسياستها؟ هذا تساؤل يجب أن نبقيه أمام أعيننا، ونحن نحاول رسم صـورة لقيـام وحـدة اسلامية نتوقع أن لاتماشي أو تهادن الطغيان الاميركي، أو أي هيمنة أخـرى. ومما يجعل الـدور الاميـركي خطيـراً جـداً تحلق مجموعة الـدول الغربية واليابـان الغنية والقوية والمتطـورة في فلك الولايـات المتحدة، مما أدى الى هيمنة شـاملة وطاغية على مقدرات العالم السياسية والاقتصادية والثقافية. فكيفما تستدير القوى الاخرى تجد نفسها في مواجهة قوى الهيمنة والطغيان.

ومما زاد في نفوذ الولايات المتحدة الاميركية أن بقايا الاتحاد السوفياتي، مثل: روسيـا وأوكرانيا ودول أوروبا الشرقية باتت تدور في فلك الولايات المتحدة وحلفـائهـا، بحيث أصبحت تابعة لهـا في جميع المجـالات. ورغم امتـلاك روسيا

للسلاح النووي المدمر، الا أن هذا السلاح (حُيّد) وبات عبأ على روسيا بدلاً من أن يكون مصدر قوة، إذ إن القوة الاقتصادية والتطور التكنولوجي والمهارة في الادارة باتت المعايير التي تحدد مسار الحياة المعاصرة.

واضافة الى ما أسلفنا أعلاه، تبقى حقيقة أخرى: أن الهيمنة والسلام الاميركي مستمران الى أمد غير قصير، إذ لا يبدو أنّ ثمة منافساً حقيقياً ظاهراً في الافق على الساحة الدولية. فلا اوروبا الموحدة اقتصادياً قادرة على منازلة العملاق الاميركي، ولا اليابان تستطيع تحدي الجبار الاميركي، ولا الصين في موقع يسمح لها بمجابهة قوة الولايات المتحدة. اذن، فالولايات المتحدة باقية معنا كمرجعية دولية نهائية الى أمد طويل خدمة لمصالحها الحيوية والعليا، وبدرجة أقل، خدمة لمصالح حلفائها. الامم المتحدة (أمل البشرية بالسلام والاستقرار، وأمل الشعوب الضعيفة والفقيرة والصغيرة) باتت العوبة وأداة طيعة لخدمة مصالح قومية لدولة عظمى واحدة، وليست لخدمة البشرية والعدالة الدولية والاجتماعية والسلام العالمي.

أما أخطر مظاهر النظام الدولي القائم فهو استعمال البعد الثقافي بجانب البعد السياسي والعسكري والاقتصادي، لتعميق و تعزيز الهيمنة الشاملة في العالم. ان نشر الثقافة الاميركية الغربية يشكل السلاح الاخطر لانه يتخطى النواحي المادية والاجتماعية ليطال مجال القيم والمفاهيم الاخلاقية والروحية. إنّ نشر طريقة الحياة الغربية على أنها الطريقة المثالية شأن في غاية الخطورة على التراث والقيم. ومما يزيد في خطورة (الاستعمار الثقافي) أن الولايات المتحدة وأوروبا تملكان أفضل وأكثر وسائل الاعلام والاعلان تطوراً. وهي الوسائل الفاعلة للوصول الى العقول والقلوب. ومما يجعل الاستعمار الثقافي ذا خطورة، خاصة أن شعوب الارض خارج نطاق الغرب هي شعوب مستهلكة في شأن ثمار الفكر والروح، اذ

تصبح هذه الشعوب موضوعاً و (تستهلك) كل ما هو أجنبي وافد من الخارج.

من هنا ننطلق لنرسم (السيناريو) الذي يمكن أن تتم فيه عملية الوحدة الاسلامية على ضوء واقع العالم الاسلامي وواقع العالم خارج هذا النطاق والنظام الدولي القائم الذي يوجه حركة التاريخ في كل مكان على الكرة الارضية.

٥ - قيام الوحدة الاسلامية العتيدة:

إن الاعمال الجليلة في الحياة تبدأ حلماً يراود عقول ونفوس قلة تتولى نشر فكرة الحلم حتى تصبح -مع مرور الزمن- كرة ثلج تتدحرج من علٍ، تكبر و تنمو في الشكل والمضمون مع كل حركة في الاتجاه الصحيح لتصبح مع الوقت حقيقة واقعة. وقولنا: إنّ الوحدة الاسلامية حلم جميل، لايعني أنها وهم وخيال بل أنها تصوّر عملي لما يمكن أن يكون عليه واقع العالم الاسلامي واتجاهات حركة التاريخ السائدة.

والآن، نسأل ماهي الخطوات العملية التي يجب اتخاذها لتحقيق هذه الامنية الغالية؟

نشير في مستهل هذا الحديث الى أن هنالك جهوداً بذلت في االماضي وتبذل في الحاضر في اتجاه تحقيق هذه الامنية، وأنه ليس على القادة والمفكرين أن يبدأوا من نقطة الصفر. لقد اتخذت خطوات عدة من أجل تقريب الدول الاسلامية بعضها من بعض عن طريق تعزيز الاتصال والتكامل في الآراء والمصالح، في الاتجاه ذاته، فالخطوة الاولى تنطلق من تعزيز وتعميق الاتصال المباشر بين شعوب ودول العالم الاسلامي.

لقد نجح الاستعمار في الماضي في عزل الدول الاسلامية بعضها عن بعض، وجعل من ذاته القاسم المشترك لهذه الدول. فالاتصال بالخارج كان يتم عن

طريق باريس أو لندن أو روما أو بروكسل أو أمستردام وليس، على سبيل المثال، بين القاهرة وبغداد، أو بين كراتشي و طهران مباشرة. إن غياب الاتصال المباشر بين العواصم الاسلامية ضيّع فرصاً كثيرة للتقارب والتكامل. والآن بعد أن زال كابوس الاستعمار لابد من إجراء الاتصال والتكامل المباشر حتى يتم التفاهم ومعرفة الامور المشتركة، وبخاصة بين تلك الدول المتصلة أو القريبة بعضها من بعض. فالاتصال المباشر يولد الرغبة في التقارب وتبادل المصالح على اختلاف أنواعها. اذن، تعزيز وتعميق الاتصال بين مختلف أجزاء العالم الاسلامي هو الخطوة العملية الاولى في الاتجاه السليم.

مع الاتصال، يجب وضع تصور لما يمكن أن يؤدي اليه الاتصال من نتائج تقرّب أجزاء العالم الاسلامي بعضه من بعض. فالتصور السليم يتطلب إجراء إحصاء للعناصر المشتركة التي يمكن أن يبنى عليها، والعناصر المختلف حولها، كي يتم إيجاد حلول لها، ومن ثمّ تصبح عناصر إيجابية في بناء صرح الوحدة الاسلامية.

في هذا الصدد نود أن ننبه الى أن الساحة الاسلامية مزروعة بالالغام الكثيرة. بعض هذه الالغام من وضع عناصر داخلية لاترى مصلحة في الوحدة الاسلامية، وغيرها من وضع عناصر خارجية، وهي متعددة، نظرا لعدائها التاريخي للاسلام والمسلمين، تحسباً لما يتأتى عن مثل هذه الوحدة على الوضع العالمي من محاذير تضر بمصلحة هذه الاطراف. إن العمل للوحدة لن يتم في فراغ أو حياد، بل ضمن نطاق مليء بالأشواك والعقبات.

التصور الذي نتحدث عنه يتطلب التنسيق على مستوى رؤساء الدول الاسلامية والتعاون في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية على صعيد الشعوب والهيئات الاهلية. ونظراً لأهمية الاعلام الحديث في

تقريب الشعـوب، يتوجب إقامة أعلى مستوى من التعاون والتنسيق بين الفعاليات المسـؤولة عن وسـائل الاعـلام والتوجيـه. هذه المرحلة هي مرحلة التهيئة النفسية حتى ترى الشعوب في التقارب والتعاون مصدراًللخير والبركة.

يتبع التعـاون والتنسيق الفكـري، إيجـاد القـواسم المشتـركة على الصعيـد الاقتصـادي كتحضيـر لوحـدة اقتصـادية مرجـوة تساعـد في رفع وتحسين الوضع المعيشي للشعـوب. إن التعـاون والتنسيق على المستـوى الاقتصـادي يجب أن يرافقـه تعـاون وتنسيق في المجـالين العلمي والتكنولوجي. يبدأ التعاون والتنسيق الاقتصادي بين الدول المتجاورة لينطلق بعدها ويشمل دولاً بعيدة.

والتنسيق المـذهبي على أهميتـه القصـوى يبقى مـرحلة متقـدمة تصـاحب جميع المـراحل التي تمـر فيهـا عملية الـوحـدة، إذ لايتـوقع أكثـر من تقـارب في وجهات النظر وليس زوال الخلافات الاساسية. يجب ترك التقريب المذهبي يأخذ مـداه على صعيـد العلمـاء والفقهاء ورجال الدين بعيداً عن المسؤولين السياسيين والاقتصـاديين، إذ يمكن أن تكـون الخـلافـات المـذهبية عقبة كؤوداً تحول دون تحقيق الوحدة الشاملة على المسارات الاخرى.

إخيـراً تأخذ دولة الوحدة الاسلامية شكل جمهورية اتحادية أو كونفدرالية وفق رغبة الاعضـاء، إذ يجب أن تحـافظ كل دولة على خصـوصياتهـا المحلية في الوقت الذي تنضم فيه الى دولة الوحدة.

في الختـــام، يجـدر االتـأكيـد أن أية وحـدة سيـاسية لن تتم وتنجح الا اذا جـاءت منسجمة مع إرادة أبنـائهـا وحـاملة الخيـر والبركة للجميع. إن رصد حركة التـاريخ، ومشـروع الوحـدة الاسلامية جزء من هذه الحركة، يسمح لنا بالتكهن بأن الـوحـدة الاسـلامية العتيدة ستستغرق زمناًغير يسير، لكنها قادمة بدون شك. ربما سبقتهـا وحدة بين الدول العربية ـ الاسلامية ووحدات فى آسيا وأفريقيا، لكن هذه

ستكون مدخلاً للوحدة الاسلامية المنشودة.

٦ - الوحدة الاسلامية والنظام العالمي القائم:

تشكل الوحدة الاسلامية خطراً كبيراً على النظام العالمي القائم لانها يمكن أن تكون منافساً قوياً لأي نظام عالمي قائم، أو ربما باتت هي الطرف الأهم في أي نظام عالمي.

أما المصدر الثاني لخطر قيام وحدة اسلامية، هو البعد الثقافي - الحضاري لكيان إسلامي متطور ومتقدم. إن الحياة الثقافية، والحضارية، والاسلامية تتميز عما عداها من ثقافات وحضارات. فكما كانت الثقافة الاسلامية مصدر اشعاع وتأثير في السابق، فانه يتوقع للثقافة الاسلامية مثل هذاالدور في المستقبل.

من هنا ينطلق العداء الذي تواجهه حركة اليقظة الاسلامية الحالية من قبل النظام العالمي القائم المتمثل بالولايات المتحدة وحلفائها. فالمواجهة بين الغرب والعالم الاسلامي التي عمرها ألف عام، ستزداد حدة وضراوة مع تعمق اليقظة الاسلامية وتشعبها.

إن المجابهة بين أجزاء من العالم الاسلامي والنظام العالمي القائم ستصبح سافرة بين عالم اسلامي يتململ، ونظام عالمي يرتجف من هول هذا التململ.